سلسلة

إضاءات على الطريق

٤

صحّة المسلك من صحّة المعتقد

قال تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)}

قالوا: نزلت في رجل كان له مكيالان كبير وصغير، إذا اكتال لنفسه على غيره، اكتال بالمكيال الكبير، وإذا اكتال من عنده لغيره، اكتال بالمكيال الصغير، ففي كلتا الحالتين تطفيف، أي تنقيص على الناس من حقوقهم.

وفي الآيات تقريع وتوبيخ لهؤلاء الناس، من جهتين:

- **قوله تعالى: {أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ}** أي: أما يخافُ أولئك من البعث والقيام بين يَدَي مَن يعلم السرائر والضمائر، في يومٍ عظيمِ الهول، كثيرِ الفزع، جليلِ الخَطْب، مَن خسر فيه أُدخل نارًا حامية؟!

فإنّ الباعثَ على هذا العمل هو عدمُ اليقين بالبعث، أو اليقين موجود لكنهم يعملون عمل غير الموقنين، أي غير مبالين.

- **وقوله: {يَوْمَ يَقُومُ الناس لِرَبِّ العالمين}** يُفهِم أنّ مطفف الكيل والوزن وهو يعلم هذا حقيقة غالبًا ولا يطلع عليه الطرف الآخر، فيكون الله تعالى هو المطلع على فعله، فهو الذي سيحاسبه ويناقشه، لأنه خان الله الذي لا تخفى عليه خافية سبحانه.

ينظر "تفسير ابن كثير، و"أضواء البيان"

فإذا قوي إيمانه العبد بالبعث واستحضر اطلاع الله عليه صحَ مسلكه، وحمله هذا على الإحسان في معاملته للخلق، فكما يأخذ من الناس الذي له يعطيهم كلَّ ما لهم من الأموال والمعاملات، ويرى لهم كما يرى لنفسه، وينصح لهم، وإذا ضعف إيمان العبد بالبعث واطلاع الله عليه فسد مسلكه.

من صور التطفيف

يدخل في عموم هذا الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ماله من الحجج، فيجب عليه أيضًا أن يبين ما لخصمه من الحجج التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يُعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه، نسأل الله التوفيق لكل خير.

"تيسير الكريم المنان"